إلى د. علي عقلة عرسان(*)

د. سماح إدريس

حضرة الدكتور علي عقلة عرسان المحترم، رئيس اتحاد الكتّاب العرب في القطر السّوري،

تحيّة طيّبة وبعد،

فقد اطَّلَعْتُ على قرارِ اتّحادِكُم المُوَقَّر بِفَصْلِ الشّاعِر أدونيس بِسَبب ما تَرَوْنَهُ تَأييداً من طرَفِهِ للتطبيع مع العدوّ الصهيوني واعترافاً بـ«إسرائيل». وأنا أعلم أنَّ قراركم هذا قد اتُّخِذَ بأغلبيّة مطلقة ولم يكن صادراً عن رأي فردٍ واحد. كما أعلم أنّ قراركم يستند ـ حسب تأكيدكم ـ إلى دستور الاتحاد الذي يَدِين كُلَّ مثقّف يعترف بالعدوّ وبكيانِهِ. ومع هذا، فقد وجدتُ مِنَ الملائم أن أبعث إليك أنتَ شخصيّاً بهذه الرّسالة المفتوحة لِكونك رئيسَ الاتحاد المذكور أوّلاً، وللتأثير الذي يمكن أن يكون لك في إصدارِ مثل هذا القرار على أعضاء الاتحاد ثانياً.

وإذْ أُحاوِرُك، فلإيماني بأنّ هناك قواسم مشتركة كثيرة تجمع بيننا، وذلك من خلال ما قرأته لك من افتتاحيات في جريدة **الأسبوع الأدبي** التي يصدرها اتحادكم. وأوّل هذه القواسم إيمانُنا المشترك بضرورة مقاومة العدوّ الإسرائيلي في مختلف المجالات، ولا سيّما من خلال رفضِ التخلّي عن حقوقنا الوطنية والقوميّة تحت أيّ ذريعة. وثانيها، ثقتُنا ـ أنتم وأنا ـ بأنَّ التطبيع مَطلبٌ إسرائيليٌّ أساسِيّ يؤمِّنُ لعدوِّنا لا التَّوَسُّعَ الاقتصادِيّ على حساب شعبنا وموارِده فحسب، بل يشرِّع أيضاً مُجمل سياساته الاحتلالية والاقتلاعية عبر عشراتِ السِّنين. وثالثها، قَناعتُنا بأن التَّطبيع الثقافيّ ليسَ وهماً ينبغي تجاهلُه بحجّة التركيز على الأخطار السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة، وإنّما هو من الأسباب التي قد تعجِّل في استشراءِ هذه الأخطار أو قد تكبحها. ورابِعُها، رغبتنا في أن يكونَ المثقَّفُ العربيُّ ـ وفي هذه المرحلة بالذات ـ أكثرَ صلابة ووعياً مِنَ المفاوضِ السياسيّ العربيّ، فلا يحصر جُلَّ اهتمامِهِ بـ«المكاسِب» الآنِيَّة، بل يُبقي راية الكفاح مشرعةً أمامَ المستقبلِ الذي نثق ـ وأحياناً بإفراط ـ بأنَّه يحمل وعوداً أجملَ مِن حاضِرنا المقيت.

وبالإضافة إلى ما تقدّم، فإنّ ثمة قواسم أخرى تجمعنا في قضيّة حضور أدونيس بعضَ المؤتمرات «الدوليّة» التي شارك فيها مثقّفون إسرائيليّون. فأنا وأنتم غير مُقتنعين بالتبريرات التي أعطاها ـ ومِنْ على صفحات مجلّة **الآداب** بالذات ـ لحضوره ذاك، وقد نرى فيه أهدافاً ذاتيّة طموحة... وإنْ كنتُ شخصيّاً قد

(*) وجّهتُ هذه الرسالة المفتوحة عبر الصفحة الثقافية في جريدة **النّهار** (١٧ شباط ١٩٩٥).

وجدتُ في حضورِ بعضِ الشخصيّات الثقافيّة العربيّة (وفي طليعتها إدوارد سعيد) لعددٍ مِنَ المؤتمرات الأكاديميّة **في السّابق** دفعاً لقضيّة فلسطين العادلة ودَحْضاً لمجمل الأكاذيب الصهيونيّة والخِداع الإعلاميّ الغربيّ... وبخاصّة حين **لا** تُعْقَدُ هذه المؤتمرات تحت شعاراتٍ مشبوهةٍ تكرّسُ الظلم القائمَ مثل شعار «أفكار ما بَعْدَ السّلام»!

ومع ذلك، فإنّ في موقف اتحادكم الكثيرَ ممّا لا أوافقُ عليه. بلْ يحزّ في نفسي ـ بعد كلّ ما ذكرتُ، وما لم أذكرْ، مِن أوجه تقاربٍ بيني وبينكم ـ أنْ أجدني في موقع المخالف لهذه الخطوة التي تخطونها في مواجهة التطبيع مع العدوّ الإسرائيلي.

١ ـ فَهَلْ أدونيس عضوٌ إداريّ أو تنفيذيّ في اتحادِكم، بحيثُ يشكّل وجودُه فيه خَطَراً على سياسة هذا الاتحاد؟ إذا كانَتْ هذه هي الحال، فإنّ من حقّكم اتّخاذَ التدابير الآيلة إلى حفظ الاتحاد وتعزيزه. ولكنّي أعتقد أنّه كانَ مِنَ الأفضل، حتى في مثل هذه الحال، وحفاظاً على روح التعاون والتكاتف بين أفراد «المهنة» الواحدة، أنْ تصدروا بياناً توضحون فيه للرأي العام العربي والعالميّ (بما في ذلك الرأي العام «الثقافي الإسرائيلي») أنّ الشّاعر السوري أدونيس لا يعبّر عن رأي اتحاد الكتاب العرب في سورية وإنّما يعبّر عن رأيه الشخصيّ ولا يلزمُ مؤسسةَ الاتحاد بشيء. أما وأنّ أدونيس عضوٌ عاديٌّ في الاتحاد، ولا يعبّر عن توجّهات هذا الاتحاد الثقافية أو السياسيّة، فقد كانَ مِنَ المستحسن أنْ يكرّس اتحادُكم بعضَ الندوات الخاصّة للقاءات المثقفين العرب بإسرائيليين، وذلك ضمن خطّة **شاملة** في مواجهة التطبيع، أو أن يُخَصِّصَ اتحادُكم بعضَ الصفحات في جريدة **الأسبوع الأدبي** لجميع أشكال المعارضة الثقافيّة للتطبيع. ولئن شاء الاتحادُ أن يأخذَ بالخيار الأخير، فإنّه مِنَ المستحسَن أن يفسَحَ المجال واسعاً أمامَ أدونيس أو غيْرِهِ مِنَ المخالفين لِعَرْضِ أفكارِهم... على أن تُؤكّد الأمانةُ العامّةُ للاتحاد، أو رئاسة تحرير **الأسبوع الأدبي**، على حَقّ «الأقلية» في التعبير المطلق عَن رأيها دون إرهابٍ أو تخوينٍ أو تَسْفِيه، وأن تُؤكّدا أيضاً على أنّ حوارَ المثقفين هو أفضلُ طريقةٍ للتعرُّف على كافّةِ سُبُلِ المواجهة. فتحصينُ «روح الأمّة» لا يكون ـ كما تعلمون ـ بالإقصاءِ والإلغاءِ والاغتيال، بل بالحِوار الداخلي وإنعاش الحِسّ المدنيّ بالحريّة والعقلانيّة.

٢ ـ هل يجدر، أساساً، باتّحادٍ ثقافيّ أن يطردَ واحداً من أعضائه لخِلافٍ في الرأي بين هذا العضو وبين أمانَتِهِ العامّة، أو

موقفنا...

قضيّة موقف الشاعر أدونيس تشبه، في محصلتها الأخيرة، قضية الروائي نجيب محفوظ.

كلاهما شجّع وبارك الحوار مع العدوّ الإسرائيليّ، في ندوات أو لقاءات أو تصريحات، بحجّة السعي إلى السلام. ولم يكن العقاب الذي أنزل بأدونيس، بطرده من اتحاد الكتّاب العرب في دمشق، بأقلّ قسوة من الاعتداء على محفوظ؛ فكلاهما أُهدر دمه، على اختلاف في طريقة الإهدار.

وإذا كان علينا، نحن المثقفين العرب، مواصلة النضال الثقافي من أجل الإسهام في إنهاض الأمة العربية، فلا مناص لنا من أن نتميّز، في موقفنا وسلوكنا، عن السياسيين والحكّام والأنظمة. ولن يتخذ هذا التميّز شكلاً آخر غير رفض الحوار الذي قبلوه هم، بإقرار مبدأ التفاوض.

إننا نؤكد، مرة أخرى، شجب الحوار والتفاوض، لأنه يقوم بين طرفين غير متكافئين: ظالم ومظلوم، معتدٍ ومعتدى عليه. لن يعترف الأول، ولو كان يمثّله مثقف، بهذا الواقع، ولن يقرّ للثاني بالحقّ في النضال والمقاومة لرفع الظلم واسترداد الحقّ. فما جدوى الحوار والتفاوض إذن؟ ألن يكون السلام، في هذه الحالة، سلاماً مشوّهاً كما هو الوضع الآن في المفاوضات ـ على تعثّرها؟

ومع ذلك، فنحن نرفض معاقبة أصحاب الرأي المخالف من مثقّفينا، دعاة الحوار، أيّاً كان الشكل الذي يتّخذه. ذلك أن هذا العقاب لا يمكن أن يوصف إلا بأنه قمع للحريّة، وهي القيمة العليا للثقافة. سيكون هناك صراع بين دعاة الحوار ومخالفيه، فليستمرّ هذا الصراع.

وكما شجبنا الاعتداء على نجيب محفوظ بمحاولة القتل والاغتيال، نشجب الاعتداء على أدونيس بالفصل والطرد.

د. سهيل ادريس

بينه وبين «أكثريّة» أعضاء ذلك الاتحاد؟ إنَّ الطَّرد هو من تقاليد الأحزاب، ولا سيّما «الثوريّة»، خوفاً من تسلُّل «الأعداء» إلى صفوف الحزب وقَواعِدِه المقاتلة، أو ضَنّاً بالأسرار المكدَّسة في أرشيفِهِ، أو تعزيزاً لسياسةٍ تكتيكيّة ترتئيها قيادةُ الحزب في مرحلةٍ تاريخيّة معيَّنَة. وأما اتّحاد الكتاب فَهُوَ ليس تنظيماً سياسياً في الأساس، بل هو اتحادٌ ثقافيّ مهمَّتُهُ الأُولى هي صَوْنُ حقّ جميعِ الكتّاب ـ وبخاصّة الأقليّة منهم، كما أسلفنا الذِّكر ـ في التعبير عن آرائهم. ولئن كانت مقاومة العدوّ الإسرائيليّ أو مقاومةُ التطبيع معه مِن مهامّ الاتحاد الأساسيّة، فإنَّ هذين الهدفين النبيلين لا ينبغي أن ينسخا البندَ الأساسيَّ لِكُلِّ اتحادِ كتّابٍ ذي مصداقيّة في الحياة الثقافية... عنيتُ: بند «حريّة الفكر والتعبير». وحين نقول «الحريّة» أو «الديموقراطية»، فإنّنا لا نعني ديموقراطيّة «غابة السِّلاح الوطني» التي تتحوّل بعد أيّام إلى سلطةِ قمع؛ ولا نعني «ديموقراطية» الأنظمة العربيّة التي تُعطي المعارضَة شيئاً من حريّة التعبير وسيلةً ـ فحسب ـ لتعظيم **هامش مناورة** تلك الأنظمة لا إيماناً مِن هذه الأنظمة بالحرية في حدِّ ذاتها. وإنّما نحبُّ أن تكونَ لنا، كتّاباً ومواطنين، حريّةُ التعبير والاحتجاجِ والتظاهرِ والتنظيمِ ضمن حدود القانون؛ ونحبّ للمعارِض ما نحبُّه لأنفسنا: أنَ نقولَ ما نشاءُ، قبل أن تغتالنا رصاصةٌ إسرائيليّة أو يغتالَنا مثقَّفٌ عربيٌّ آخر تَجَلْبَبَ بـ«الدِّينِ» أو «الثورة» أو «السّلام».

٣ ـ أَفهمُ اتحادَ الكتّاب ـ أيَّ اتحاد كتاب ـ على نحوٍ مثاليّ، كما اتَّضَح لكم. أرى الاتحاد أُمّاً حانيةً، لا أباً غَضُوباً، وحضناً دافئاً لا فزّاعة طيور. فإنْ «أخطأَ» أدونيسٌ ما أو محفوظٌ ما، سارع الاتحادُ إلى حِوارِه بهدف ضَمِّه لا استبعادِه. فقوَّةُ أيّ اتحادٍ للكتّاب هي في تعدُّد اتجاهاتِهِ، لا أحاديّتها؛ وقوّة الثقافة العربية ـ كما تعلمون ـ هي في انفتاحها الذي بِهِ تُواجِهُ انغلاقَ الفكرة الصهيونيّة وتبجُّحَها التلموديَّ. صحيحٌ أنَّ إقامةَ الفارق بين الوطنيّ والعميل تعقيمٌ للثقافةِ والسياسة؛ لكنَّ أدونيس لم «يُثْبِتْ» عمَالَتَهُ لنرمِيَهُ بالرَّصاص، ولم يَزُرْ «إسرائيل» لنطبِّقَ عليه قانون المقاطعة العربيَّة، ولم يَدْعُ إلى التَّطبيع جَهاراً (وإن كان قد اعتبره أُلهيةً تشغلنا عن معاركنا «الحقيقيّة»!) لِنَقْطع كُلَّ يَدٍ تُصافِحه، ولم يقدِّم لنا كشفاً بالمبالِغ التي قَبَضها من رابين وبيريز لنكرِّسَه مثقَف «سلطة الكيان الصهيوني». اجتهادات أدونيس خاطئة ـ في رأيكم ورأينا ـ لكنَّ اجتهاداتكم (في إقصائه) قاتلة... أو شبيهة بالقتل... أو ممهِّدَةٌ للقتل! فهل في مثل هذا التصرُّف انتصارٌ لمقاومة التطبيع، أم هو انتصارٌ للإرهاب؟

٤ ـ لندخلْ في السياسة، قليلاً، أيّها الأستاذ الكريم ويا أيَّتُها الأكثريّة المطلقة التي وَقَّعَتْ (بفخر؟) على قرار فَصْل أدونيس. فقد أَكَّدَتِ القيادة السوريّة في القطر السوري الشقيق على أنّ «السلامَ العادلَ والشامِل خيارٌ استراتيجيّ». وفي عدد جريدة **الحياة** الصادر في ١٥ شباط الماضي، نقلتِ الوكالةُ العربيّةُ السوريّةُ للأنباء عن الأستاذ عبدالله الأحمر (وهو الأمين العام المساعد لحزب البعث العربي الاشتراكي) قوله «إنّ هذا السلام لا يمكنُ تحقيقُه إلاّ من خلال انسحاب إسرائيل الكامل من الجولان ومنْ جنوب لبنان، وتحقيق الأمن المتبادل والمتوازِن للأطراف». فإذا كان السلامُ خيارَ سوريا (ولبنان) الاستراتيجيَّ، وإذا كانتْ لقاءاتُ ممثِّلينا في سوريا (ولبنان) مع رابينوفيتش وغيرِهِ قد بدأتْ منذ أعوام (وتعثَّرَتْ بسبب عنجهيّة العدوّ، وصلابَةِ الموقف السوري واللبناني المفاوض) فلماذا «يقصرُ أنصارُ تيّار رفضِ التطبيع على التطبيع الثقافي فحسب؟»

هذا السؤال طَرَحَهُ «مطبِّعٌ» آخر، هو الدكتور هشام الدّجّاني في مقالةٍ نشرتْها له جريدتُكم **الأسبوع الأدبي** في ٥ كانون الثاني.

يقول الدّجاني ـ الذي فُصِل هو الآخر من اتحادكم ـ إنّ التطبيع (الذي يدعو إليه جهاراً، بعكس أدونيس) هو «تحصيل حاصِل بعد تَوْقيعِ اتفاقِ للسّلام». والسلام الشامل، في رأي الدّجاني:

> «يعني التطبيع الشامل في كافةِ مجالات العلاقات، حتّى وإنْ تمَّ ذلك على مراحل. ولا يمكن استثناءُ التطبيع الثقافي من هذه المجالات. لقد أعلنَتْ سورية مراراً موقفَها السياسيّ: سلام شامل مقابل انسحاب كامِل. والسلام الشامل يتضَّمن جميعَ أوجه العلاقات المتبادلة. وإذا كانَ المفاوضُ السوريّ ـ والكلام مايزال لهشام الدجّاني ـ لا يريد أن يُفصِح مقدَّماً عن **جميع التفاصيل** المتعلِّقة بمفهومه للتطبيع الكامل لأسبابٍ تتعلَّق بالتكتيك السياسي والتفاوضيّ، فإنَّ السلامَ الشامل لا يحتاجُ إلى قواميسَ لشرحه» [انتهى الاقتباس من مقالة هشام الدجّاني].

ويتساءَل الدّجاني تساؤلَ العارف: «ألسنا نعترف بإسرائيل واقعياً؟ مَعَ مَنْ نَتَفاوضُ إذن؟ مع أشباح؟!»... قَبْلَ أن يعلن موقفَه المتهكِّمَ من أنصار رافضي التطبيع الثقافي الذين لا يجهرُون

برفضهم ـ في الوقت ذاته ـ لكلّ أشكال المفاوضات مع «إسرائيل».

المفاوضات اليوم، أيها الأستاذ الكريم ويا أيّتها الأكثريّة المطلقة، ستقودُ في حال «نجاحها» إلى معاهدة سلام... عاجلاً أم آجلاً. وبعد معاهدة السّلام، لا بدَّ أن تجري معاهداتٌ أخرى في مجالات متعدِّدة، وستدخل هذه المعاهداتُ ـ شئنا أم أبينا ـ تحت عنوانٍ واحدٍ كريه وبغيض: هو «التطبيع».

قد لا ندعو الإسرائيليين إلى إفطار رمضان، وقد لا يُقَبِّلُ رجالُ ديننا رجالَ دينهم... لكنّنا ـ في حالِ نجاح «السّلام» ـ مقبلون على تطبيعٍ ما. وقد نرى أنفسنا بعد سنوات ـ لا سمح الله! ـ نناقش في أيّ تطبيع نقبل، وأيِّ تطبيعٍ نرفض!

بعضكم يقول إنّ السياسيين مضطرّون للتفاوض مع العدوّ بحكم اختلال الموازين لصالح الولايات المتحدة، وأملاً في إحراز أيّ مكسب، في حين أنّ المثقفين العرب (كأدونيس) ليسوا مضطرّين لِلقاءِ مثقفين إسرائيليين. لا أدري ما إذا كانَ هذا هو رأيكم، أيّها الأستاذ الكريم ويا أيّتها الأكثريةُ المطلقة، وإنْ كنتُ أُرجِّح ذلك. وإذا صَحَّ حدسي فأنتمْ تسمحون لأنظمتنا بما لا تسمحون به لمثقّفينا: تبرِّرُونَ التفاوضَ والتكتكةَ وحتى الاعترافَ («الضمنيَّ»؟) بدولة العدوّ، ولا يسمح ضميركم الثقافيُّ لأدونيس بأن يحضر مؤتمراً «دولياً»(؟) ولا لهشام الدجّاني بأن يتبنّى **النتائجَ المنطقيّةَ** للسياسة العربيّة الرّسميّة التفاوضيّة. أيُّ ميزانٍ هو ذاك الذي تَكِيلُون به؟ أهو مِيزانُ المبادئ، أم ميزانُ الأنظمة؟

* * *

الدكتور علي عقلة عرسان المحترم،

آسَفُ لقرار اتحادكم بفضل الشاعر السّوري أدونيس، رغم خلافي الجذريّ مع تبريراتِهِ لحضور هاتيك المؤتمرات. غير أنَّ في الأمر مفارقةً هي التي تدفعني اليوم ـ باسمي الشخصي وباسم مجلة **الآداب** ـ إلى إعلان الأسف. والمفارقة هي أنَّ التطبيع والإرهاب وجهانِ لعملة واحدة؛ فالتطبيع مع العدو الإسرائيلي سَيَسْهلُ بقتل كرامة المثقف العربيّ... أيّاً تكنْ هويّةُ هذا المثقف الفكريّة، وأيّاً يكن القاتل. آمل أن نُبقي حوارنا مستمراً، وتقبّلوا مِنّي آياتِ الاحترام.

بيروت ١٣ شباط ١٩٩٥

٣ شهداء جدد

في الفترة الأخيرة، قامت الرقابة اللبنانية في الأمن العام بمنع ثلاثة كتب للمفكر العربي الصّادق النيْهوم، ثم صادرتْ جميعَ النسخ الصادرة عن «دار رياض الريّس» للنّشر... وذلك ـ بحسب تأكيد دائرة الرقابة ـ بناءً على كِتابٍ وجّهته إليها دارُ الفَتْوَى!

وبعد أيام قلية من قراري المنع والمصادرة، تداعى عشرات المثقفين في مسرح بيروت ـ وهو واحِدٌ من المنابر المتقدّمة في المعارضة الثقافية الديموقراطية في لبنان ـ للتباحث فيما يمكنُ عملُه لوقف هجمة الرقيب العشوائيّة على ثقافة الوطن وحريّة تعبير أفراده. **والآداب**، إذ تستنكر قراري الرقابة التعسُّفيّ، تعلن تضامُنَها مع أسرة المفكّر المرحوم الصادق النيْهوم، ومع زملائنا في «دار رياض الريّس» ومجلّة **الناقد** (حيث نشر النيْهوم أكثر مقالاته)، وتفتح صفحاتها لِكُلِّ مَنْ يعمل على إعادة عرض أفكار الصادق ـ على خلافيّتِها ـ أو نقدها، بعد أن حاولتِ الرقابةُ طَمْسَها.

هذا، وقد صدر عن المجتمعين في مسرح بيروت البيانُ الآتي:

«وفي لبنان أيضاً، تمتد يد الرقيب إلى الكتب والمجلات والأفلام والمسرحيات: فتمنع هذا الكتاب، وتشوه ذلك الفيلم، وتمزق تلك المجلة. وآخر إنجازات دائرة الرقابة في الأمن العام اللبناني، بعد منعها لكتاب عبده وازن **حديقة الحواس**، وكتاب **الروض العاطر**، وبعد تمزيقها للمجلات الأجنبية، ومراقبتها وقصّها لمقاطع مِن فيلمي سمير حبشي ومارون بغدادي، هو قيامها بمصادرة ومنع ثلاثة كتب للمفكر الليبي الصادق النيْهوم، هي **صوت الناس والإسلام في الأسر وإسلام ضد الإسلام**.

نحن المثقفين اللبنانيين، نلتقي اليوم كي نرفع الصوت عالياً، ونحذر من هذه الرقابة التي تهدد جوهر الوجود اللبناني، والدورَ والمعنى لمدينة صمدت ضد أطول حصار لتجد نفسها اليوم محاصرةً بتدابير تعسفية عمرُها نصف قرن تشرّع القمعَ والرقابةَ ومصادرةَ الفكر والحريات.

نحنُ المثقفين اللبنانيين، نلتقي اليوم لنعلن احتجاجنا واستنكارنا ورفضنا وخجلنا واشمئزازنا من هذه الرقابة. وندعو جميعَ الهيئات الفكرية والثقافية والنقابية إلى التحرك بشكل منظم لإيقاف هذا العبث بالحريات والدستور والقوانين.

إن لقاءنا اليوم هو تحذير للسلطة ولأجهزتها الرقابية بالرجوع عن مصادرة ومنع كتب الصادق النيْهوم، وجميع الكتب التي صادرتها ومنعتها خلال الجمهورية الثانية، لأن الرقابة والقمع يناقضان روح الدستور اللبناني، وروح الديموقراطية».